# المحاضرة الأولى: دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر.

## 1- تحقيق الوحدة السياسية في إسبانيا ،والاحتلال الاسباني لسواحل الجزائر1505-1511م.

كان الزواج السياسي الذي جمع بين فرديناند وإيزابيلا سنة 1469م، يمثل اتحادا بين مملكتين من الممالك الإيبيرية الثلاث تحت سلطة تكاد تكون مشتركة وهما مملكتي قشتالة أراغون، وتمثل الهدف الأول لهذا الاتحاد في القضاء على جميع مظاهر الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولم تكد تسقط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الاندلس سنة 1492م، حتى مد رجال قشتالة عيونهم عبر مضيق جبل طارق إلى ميادين جديدة للتوسع الصليبي المقدس وذلك بغية تحقيق جملة من الأهداف:

- السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط باعتباره واجهة بحرية استراتيجية تمثل عصب التجارة البحرية في العالم.

- استعادة نفوذ الكينسة في الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، حيث أرسلت إيزابيلا جاسوسا ليتعرف على ما يجري في الضفة الأخرى، فكان موجز تقريره كالتالي: ( إن كل البلاد في حالة يبدوا أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة).

- السيطرة على الموانئ البحرية الاستراتيجية في بلاد المغرب الأوسط، وخاصة التي كانت تنطلق منها الغارات البحرية على السواحل الاسبانية، لإنقاذ المسلمين في الأندلس بعد ما واجهوه من قتل وتعذيب واستعباد من طرف محاكم التفتيش.

في سنة 1494 عقدت البرتغال وإسبانيا اتفاقية لتقسيم مناطق النفوذ بينهما، وقد عرفت هذه الاتفاقية بـ: اتفاقية توردي سلا "Tordesillas" في تموز 1494م، وأتبعت باتفاقية أخرى لتقسيم مناطق النفوذ في شمال إفريقيا سنة 1509م عرفت بمعاهدة "فيلا فرنكا"، تم بمقتضاها توجيه التوسع الاسباني نحو الشرق (الجزائر، تونس، طرابلس) ، بينما وجهت البرتغال أنظارها نحو المغرب الأقصى، وقد بارك البابا الكسندر بورجي "ALEXANDDRE VI BORGIA" مشروع التوسع الصليبي في شمال إفريقيا وسخر له كل الإمكانيات البشرية والمادية، فجمع القساوسة والرهبان كنوز الكنائس الثمينة، معطيا بذلك الصبغة الدينية للحملات الاستعمارية لمدن الساحل الشمال إفريقي، وكانت البداية التوسع الإسباني في السواحل الجزائرية باحتلال ميناء المرسى الكبير في 11 سبتمبر 1505م، ثم وهران عام 1509م وبجاية عام 1510 م ومستغانم

عام 1511 م ودللس وعنابة وهنين عام 1531م والجزيرة (حصن الصخرة) المواجهة للجزائر العاصمة، ولم يبق إلا التوغل في الداخل واحتلال مدينة تلمسان.

**2- انضواء الجزائر تحت راية الدولة العثمانية سنة 1519م، ومواجهة المشروع الهيمنة الصليبية في حوض المتوسط:**

ارتبط الوجود العثماني في غرب البحر المتوسط بقضية المسلمين في الأندلس، وذلك استجابة لاستنجاد أهالي الأندلس بالسلطان العثماني بايزيد الثاني ومطالبتهم بحمايتهم مما يتعرضون له من قهر مسيحي بعد سقوط غرناطة، وكرد فعل من السلطان أرسل البحار كمال راييس على رأس أسطول كبير إلى الشواطئ الإسبانية سنة 1486م، فقام هذا الأخير بإحراق وتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية وجنوب فرنسا، وسردينيا، وكورسيكا ومالطا ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا، ثم كرر كمال رئيس الإغارة على سواحل إسبانيا سنة 1510م.

وبعد استقرار الأخوين خير الدين وعروج في جزيرة جربة التونسية، شرعا بحلول ربيع 1512 في شن غارات كبيرة على مختلف السواحل والموانئ الأوربية الغربية وجزرها، مثل سردينيا، ونابولي، بالإضافة إلى تعرضهما للسفن الأوربية التي كانت تجوب البحر المتوسط محملة بالبضائع أو الجنود، وذاع صيتهما في كل سواحل غرب البحر الأبيض المتوسط. أما عن البداية الفعلية للوجود العثماني في الجزائر تعود إلى سنة 1514م، عندما تمكن عروج من تحرير قلعة جيجل متخذا منها قاعدة لمواجهة التوسع الاسباني في المدن الساحلية الجزائرية.

وخلال الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1514 و1518م خاض الإخوة بربروس صراعا مريرا مع الحاميات الاسبانية المتحصنة في المدن الساحلية الجزائرية وكان من أبرزها الحاميات الاسبانية في بجاية وحصن البينيون على ساحل مدينة الجزائر العاصمة، ومستغانم والمرسى الكبير ووهران، كما وصل عروج إلى تلمسان وتمكن من عزل السلطان الزياني أبي حمو الثالث، ولكن التدخل الاسباني لنصرة أبي حمو الثالث أدى إلى اختلال موازين المعركة واستشهاد عروج سنة 1518م. أمام هذا الوضع أدرك خير الدين أن الحل الوحيد لمواجهة التصعيد الاسباني هو إعلان الانضواء تحت راية الخلافة العثمانية، باعتبارها مركز الخلافة الاسلامية آن ذاك، وحاملة لواء الدفاع عن المسلمين في جميع بقاع المعمورة، فأرسل يطلب البيعة من السلطان العثماني سليم الأول آنذاك بصفته الطرف الوحيد القادر على مده بالسلاح والرجال، فوافق على الفكرة واصدرا فرمانا سنة 1519م، عين بموجبه خير الدين بايلربايا على الجزائر.

**3- بداية الهزائم البحرية والبرية للتحالفات الصليبية، والسيطرة الرسمية للتحالف العثماني الجزائري على البحر الأبيض المتوسط 1538م:**

أدرك البابا بول الثالث أن السبيل الوحيد لمواجهة القوة البحرية الجزائرية العثمانية المتصاعدة في حوض البحر الأبيض المتوسط لن تكون إلا من خلال توحيد القوى الصليبية الأوربية، وكللت جهوده بعقد تحالف صليبي سنة 1538م ضم معظم الدول الأوربية الكبيرة في ذلك العصر مثل إسبانيا، وألمانيا، والبرتغال، والبندقية، بالإضافة إلى الممالك الإيطالية وكان هذا الحلف بزعامة شارلكان.

كان هدف شرلكان من هذا التحالف، الاستفادة من هذا الأسطول للقضاء على القاعدة العثمانية في الجزائر، وهكذا فقد شهدت معركة بروزا سنة 1538م احتشاد أكبر أسطول أوربي في عرض البحر المتوسط، واسندت قيادة الحملة إلى البحار الجنوي أندري دوريا، حيث وضع تحت تصرفه أسطولا مكونا من أكثر من 600 قطعة بحرية، تحمل على متنها 60000 مقاتل من جنسيات وأعراق مختلفة، أما الأسطول العثماني فقد كان مكونا من 122 قطعة بحرية، تقل 20.000 جنديا، وتولى خير الدين القيادة الرئيسية للأسطول يساعده في ذلك أمهر البحارة العثمانيين، وانتهت هذه المعركة بأكبر هزيمة بحرية للتحالف الأوربي في العصر الحديث رغم الفارق الكبير في العدة والعتاد بين الطرفين المتحاربين، حيث خسر الصليبيون خلال هذه المعركة 123 سفينة حربية، كما أستولى العثمانيون على 36 سفينة، بالإضافة إلى 3000 أسير.

خيمت هزيمة معركة بروزا سنة 1538م، بظلالها على الامبراطور الاسباني شارلكان الذي اعتبرها نكسة لشرف الإمبراطورية الاسبانية العظمى، خاصة في ضل عجزه عن صد غارات الأسطول البحري الجزائري وعملياته العسكرية على السواحل الأوربية في إيطاليا وسردينيا وجزر الباليار، حتى صار شرلكان نفسه يجد صعوبة في التنقل من برشلونة إلى نابولي، أمام هذا الوضع أدرك شارلكان أن مدينة الجزائر تمثل قاعدة للغزو البحري، والعقبة الوحيدة أمام المشروع الاسباني للهيمنة السياسية والعسكرية على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، والمشروع التوسعي الصليبي في شما إفريقيا، وفي 23 أكتوبر 1541م أعد حملة كبيرة على مدينة الجزائر، مستغلا غياب خير الدين باشا بعد استدعائه إلى القسطنطينية وتعيينه وزيرا للبحرية، وقائدا عاما للأسطول البحري العثماني، فمني شارلكان بهزيمة نكراء على يد حسن باشا ابن خير الدين وخشر من جيشه أكثر من 4000 مقاتل، وبعد هذه الهزائم انطلقت مرحلة تاريخية جديدة فرض فيها الحلف الجزائري العثماني واقعا سياسيا وعسكريا جديدا في حوض البحر الأبيض المتوسط فكان من اهم مميزاته:

- زادت هيبة الجزائر في نفوس الأوربيين، وتسابقت الامبراطوريات الاوربية الكبرى لعقد معاهدات الحماية والصلح، ويذكر صاحب كتاب تاريخ باشوات وعلماء الجزائر "وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حيلها وحللها من رخاء الأسعار، وأمن الأقطار ولم يبقى لهم عدو يخافون منه..."

- أجبر الاسبان على الانسحاب من طرابلس الغرب سنة 1552م، وميناء تونس سنة 1553م، وبجاية سنة 1555م، ليطردوا من تونس نهائيا سنة 1569م.

- كان ما حدث في الجزائر يمثل أعظم هزيمة للإمبراطور شارلكان منذ جلوسه على العرش، فاهتزت مكانته في أوربا ولم يبقى له حليف سوى هنري الثالث ملك إنجلترا.

**مصادرومراجع المحاضرة:**


- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1515-1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980.
- نصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- أبو القاسم سعد الله، أضواء تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
- فرناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، تر: عمر سالم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990.
- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا ( 1492- 1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.

- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ الجزائر الحديث، ج01، الجزائر، 1985.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،مكتبة الحياة، بيروت، 1980.

- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنش روالتوزيع، الجزائر، 2011.

كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.